التدوين والمدونات والمحتوى المكتوب عبر الوسائط الجديدة: دورها في إعادة تشكيل المشهد الإعلامي المعاصر

المقدمة

أحدثت الوسائط الرقمية منذ بداية الألفية الثالثة انقلاباً في طرائق إنتاج المعرفة الإعلامية وتداولها. في هذا السياق، شكّلت المدونات فضاءً جديداً للكتابة والنشر الذاتي مكّن الأفراد من التعبير الحر والمباشر بعيداً عن القنوات المؤسسية. هذا التحوّل أفضى إلى نشوء نظام اتصالي جديد يضع المستخدم في قلب عملية إنتاج المعنى، ويعيد توزيع السلطة الاتصالية بين الصحفيين والجمهور.

تُعد المدونات اليوم إحدى اللبنات الأساسية في تشكيل الفضاء العمومي الرقمي، إذ أسهمت في بروز خطاب بديل متعدد الأصوات، وفي إعادة التفكير في المعايير المهنية للصحافة وطرق إنتاج الحقيقة الإعلامية.

في هذا السياق تتناول هذه المحاضرة التدوين والمدونات كأحد أبرز تجليات التحوّل في بيئة الإعلام الجديد، وتستعرض كيف أعادت هذه الممارسة الثقافية والإعلامية تشكيل بنية المشهد الإعلامي المعاصر، من خلال تمكين الأفراد من إنتاج محتوى مكتوب تفاعلي، يتجاوز منطق النشر الصناعي إلى فضاء الإنتاج التشاركي. كما تبحث الورقة في الأدوار الجديدة التي برزت للمدونين كفاعلين في الحقل الإعلامي والسياسي.

وتنطلق من الإشكالية الآتية :**كيف ساهمت المدونات والمحتوى المكتوب عبر الوسائط الجديدة في إعادة تشكيل المشهد الإعلامي المعاصر، ولا سيما في السياق العربي؟**

وبهذا تكون محاور المحاضرة كالآتي:

- ما الخصائص التقنية والاتصالية التي جعلت التدوين وسيطاً مغايراً للإعلام التقليدي؟
- كيف أعاد التدوين تعريف علاقة الجمهور بالمؤسسة الإعلامية؟
- ما الدور الذي لعبته المدونات السياسية العربية في إعادة بناء المجال العام وتوسيع دوائر النقاش العمومي؟

1- مقاربة مفاهيمية للتدوين والمدونات

تعد المدونات الالكترونية واحدة من أشد وأسرع أدوات وتطبيقات الجيل الثاني للويب استخداما لدى الشباب ظهرت المدونات في بادئ أمرها، في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1994 وكانت حينها على نطاق ضيّق، على شكل صفحات شخصيّة مفتوحة، تحوي معلومات شخصية وأخرى عامة متنوعة، بعض ما يكتب على تقارير حول أمور مختلفة، وبهيئة تشبه إلى حد ما الصحف الإلكترونية المتعارف عليه اليوم، مع تطور في أدوات الإدراج وطريقة العرض. وساهم هذا التطور في زيادة عدد المدونين، وسعة انتشار التدوين.

والمدونات في الأصل هي صفحات خاصة على شبكة الانترنت توفّرها مواقع مجانية (ويتوزّع هؤلاء المدوّنون على عدّة مواقع كبيرة منها Blogger بلوغرز وغوغول وجيران والبوابة ومكتوب ووورد برس. وتستمد المدوّنة سماتها العامّة من شخصيّة صاحبها والأهداف التي ضبطها من التدوين.

فالمدونات هي تطبيق من تطبيقات الانترنت، تعمل من خلال نظام لإدارة المحتوى، وهي في أبسط صورة عبارة عن صفحة ويب تظهر عليها تدوينات (مدخلات) مؤرخة ومرتبة ترتيبا زمانيا تصاعديا، تصاحبها آلية لأرشفة المدخلات القديمة، ومن وجهة نظر علم اجتماع الانترنت يُنظر إلى التدوين باعتباره وسيلة النشر العامة التي أدت إلى زيادة دور الويب باعتبارها وسيلة للتعبير والتواصل أكثر من أي وقت مضى، بالإضافة إلى كونها وسيلة للنشر والدعاية والترويج للمشروعات والحملات المختلفة.

في هذا السياق يمكن اعتبار المدونة سجلا يوميا الكترونيا يشبه إلى حد بعيد السجلات اليومية التي نكنها لندون يومياتنا والأحداث التي تحدث في حياتنا اليومية، ولكن المدونة تتميز بكونها عرضا وتدوينا الكترونيا يتيح للمتصفحين والزوار الاطلاع على المعلومات والمستجدات بشكل دوري، فالمدونة هي بشكل ما جريدة شخصية يعدها أحد مستخدمي الويب ويسمى بالمدون، ويعرضها لتكون متاحة للجميع.

وبهذا يمكن النظر الى المدوّنات، من منظور إعلامي، كفئة جديدة من فئات الأخبار والأحداث الجارية. ورغم أن غالبية المدوّنين لا تدّعي ممارسة العمل الإعلامي بالمعنى المتعارف عليه في وسائط الإعلام التّقليدية، إلا أن الكثير من المبادئ التي تقوم عليها التدوين في مقاربته للفضاء الإعلامي يمكن أن تشكّل مساءلة وتحدّيا للمعايير المهنية التّقليدية. فالتّفاعل مع الجمهور، والشّفافية في سيرورة معالجة وبث الأخبار، وجماعية (التّشارك) إنتاج الأخبار، الخ، تمثل أبرز المظاهر المتقاسمة في الفضاء التّدويني. إن التّدوين وهو يسائل الفهم التقليدي لماهية الإعلام، قد أعطى دفعا قويا وبعث حياة جديدة في الرؤى التي طالما تطلّعت الى تحوّل في نموذج الممارسة الإعلامية في عصر الانترنت.

2- **خصائص تكنولوجيا التّدوين** يتسم التّدوين بمجموعة من الخصائص التي تحكم سيرورة إنتاجه والتي تجعله مختلفا عن أشكال النشر الإلكتروني. من بين هذه السمات المحورية والبساطة. فالإدراجات (التّدوينات) مرتبة بطريقة كرونولجية معكوسة، من الأحدث زمنيا، ثم الذي يليه وهكذا، ولا تتبنى المدوّنات المعايير المتبعة في الفضاء الإعلامي في ما يتعلق بتصنيف الإدراجات، حيث يتم عرضها كما كتبها صاحبها.

كما أن أهمية إدراج ما لا تنبع من المدوّنة في حد ذاتها، بقدر ما تتحدد بالتعليقات والجاذبية التي تمارسها على المترددين على فضاء التّدوين. وتميل النصوص التي تتضمنها المدوّنات الى كونها تتميز بالاختصار والمباشرة وتوظيف سجل لغوي عادي، وعامي في أحيان كثيرة.

وبما أن الانترنت تمثل محيطا تبادليا تغلب عليه التخمة المعلوماتية، فإن المترددين على المدوّنات يثمنون المدوّنين الذي يعبرون عن أفكارهم ورؤاهم بأقل عدد ممكن من العبارات والكلمات. ويقوم على المدوّنة، في أغالب الأحيان، شخص واحد يتخذها كفضاء للتعبير عن انشغالاته، والتي تتنوع لتشمل حميميات شخصية، أو مسائل حياتية مختلفة، أو موضوعات اجتماعية وثقافية وسياسية وغيرها. وإذا كانت غالبية المدوّنات تنتمي الى الفئة النصية، فإن السنوات الأخيرة شهدت ظهور صنف آخر يقوم على الصورة، وصوتية والنص، والفيديو، ومن بين الخصائص

المحورية الأخرى التي تتسم بها المدوّنات، تمكين زوارها من نشر تعليقاتهم مباشرة تحت الإدراج (مع الإشارة الى أن هذه الميزة لا تتوفر في كل المدوّنات)؛ وهو ما يحوّلها إلى فضاءات للتبادل والتحاور والتفاعل، حيث يقوم أصحابها بتضمين إدراجاتهم معلومة أو رأيا حول مسألة ما تثير اهتمامات المتابعين الذين يثرونها من خلال مجموع التعليقات التي ترتبط بها. والحاصل أن هذا التبادل يمكن أن يتوسع ويأخذ شكل تفاعل بين المدوّنين أنفسهم، حيث أن المدوّنين غالبا ما ينجحون في تشكيل جماعات تساهم بتعليقاتها في إثراء مدوّناتهم، وبناء علاقات تفاعلية مع مدوّنين آخرين. إن هذه الطبيعية التبادلية التي تجعل من المدوّنات أدوات ملائمة لخلق أنماط جديدة من «الإعلام التشاركي»، وتطوير صيغ جديدة من الإعلام الجماهيري الذي أسست له الوسائط الإعلامية التقليدية.

3- **المقاربات الأكاديمية للتدوين** تنوّعت المقاربات الأكاديمية للمدونات بين من نظر إليها كأداةٍ للتعبير الذاتي، ومن رآها كفضاء للصحافة المواطنة أو كمنظومة إنتاج معرفي بديل.

- يشير **Axel Bruns** إلى مفهوم *الإنتاج التشاركي (Produsage)* الذي يصف العلاقة التفاعلية بين المستخدم والمحتوى، حيث يصبح كل مستخدم منتجاً محتملاً.
- بينما يرى **Benkler**أن التدوين يمثل أحد أشكال *اقتصاد الشبكات المعرفي* الذي يعيد تشكيل أنماط السلطة والملكية في الإعلام.
- وتؤكد **Papacharissi**على البعد الديمقراطي للتدوين بوصفه توسيعاً للفضاء العمومي الافتراضي، مع ما يرافقه من مخاطر التحيّز والتشظّي.

4- **المقاربات النظرية للتدوين:**

- ✓ **نظرية الإنتاج التشاركي (Produsage Theory)** التي تفسر تحوّل المستخدم إلى منتج للمحتوى.
- ✓ **نظرية الفضاء العمومي الافتراضي (Virtual Public Sphere)** التي تربط الوسائط الجديدة بالديمقراطية التشاركية.
- ✓ **نظرية المراقبة البوابية (Gatewatching)** التي تصف آليات انتقاء المعلومات وتوجيهها في البيئة الشبكية.

5- **المسائل المرتبطة بالتدوين كظاهرة في البيئة الرقمية:**

- **التحول من النشر إلى الإنتاج التشاركي:** ألغى التدوين الحدود بين منتج المحتوى ومتلقيه، إذ أصبح المدون في آنٍ واحد كاتباً، محرراً، وموزعاً. هذا التحول أعاد تشكيل مفهوم السلطة التحريرية وفتح الباب أمام أنماط جديدة من التواصل التفاعلي.

- **إعادة تشكيل الأجندة الإعلامية:** أظهرت المدونات قدرة لافتة على تسليط الضوء على قضايا لم تكن تحظى باهتمام الإعلام التقليدي، ما أدى إلى إعادة توزيع الاهتمام العام. وغالباً ما تستجيب وسائل الإعلام الكبرى للموجات التدوينية بتبنّي بعض القضايا التي تحظى بزخمٍ شعبيٍّ على الإنترنت.

- **التفاعل بين الجمهور والمؤسسات الإعلامية:** تسعى المؤسسات الإعلامية اليوم إلى إدماج منطق التدوين في أنشطتها التحريرية من خلال منصات التفاعل والمحتوى الجماعي. وأصبح المدونون يُعتبرون مصادر محتوى ومؤثرين في الوقت ذاته، ضمن ما يسمى بـ"الصحافة الهجينة."

- **التحديات المهنية والأخلاقية:** رغم اتساع فضاء الحرية، يثير التدوين تحديات مرتبطة بموثوقية المصادر، والتحقق من المعلومات، وحدود الموضوعية في بيئة يغلب عليها الطابع الشخصي والانطباعي.

يتضح من خلال التحليل أن المدونات لم تكن مجرد ظاهرة عابرة، بل مثلت تحوّلاً بنيوياً في أنماط الإنتاج الإعلامي. فقد أعادت تعريف الحدود بين الصحفي والمواطن، ووسّعت نطاق المجال العمومي الرقمي، وأسهمت في تعزيز المشاركة الديمقراطية، خاصة في السياقات العربية التي كانت تفتقر إلى حرية التعبير.

إن التدوين، في ضوء ذلك، ليس مجرد أداة تقنية، بل ممارسة ثقافية ومعرفية تعيد التفكير في السلطة الرمزية للإعلام، وتعيد توزيعها بين فاعلين متعدّدين.

المراجع المعتمدة:

1- أمال قرامي، **قراءة في محتوى بعض المدونات العربية من منظور الجندر**، أبحاث مؤتمر الإعلام الجديد البحرين، 2009.
2- الصادق رابح، **المدونات والوسائط الإعلامية: بحث في حدود الوصل والفصل**، مؤتمر الإعلام الجديد البحرين، 2009.